الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الإخوة منتوري- قسنطينة

كليـــة الآداب واللغـات

قسم الآداب واللغة العربية

فرع: الدراسات اللغوية

السنة: الثانية

مج: 03/ **الأفواج:** 12/11/10/09

الأستاذة: سامية سعيد عمّار

محاضرات

مدخل إلى الأدب المقارَن

السنة الجامعية : 2020 – 2021م

الموافق لـ 1441 – 1442 هـ

محاضرة رقم (01)

في مفهوم الأدب المقارَن

- **توطئة:**

يرى رائد الأدب المقارن عند العرب "محمد غنيمي هلال" أنه كثُر الخطأ في تحديد مفهوم الأدب المقارن عندنا حتى اليوم، وفي نشأته عن الأمم، مما كان سببا في تعثر الدراسة فيه، وتنفير الكثير من الدارسين منه، وتضليل الباحثين في جدواه، لذا نرى من الضروري أن نبدأ بتحديد معالمه وتوضيحها.

أولا/ المفهوم اللّغوي:

الأدب المقارن هو ترجمة للمصطلح الأجنبي *La littérature comparée*، فالضميمة الثانية في هذا المصطلح المركب تترجم بصيغة اسم المفعول الذي يصاغ من غير الثلاثي بقلب يائه ميما مضمومة وفتح ما قبل آخره.

ثانيا/ الاصطلاح:

يتحدد مفهوم الأدب المقارن من الناحية الاصطلاحية بمجموعة من العناصر هي التي يتضمنها تعريف "غنيمي هلال" يقول: «**إنه يدرس مواطن التلاقي بين الآداب في لغاتها لمختلفة، وصلاتها الكثيرة والمعقدة في حاضرها وفي ماضيها، وما لهذه الصلات التاريخية من تأثير وتأثر، أيا كانت مظاهر ذلك التأثير والتأثر، سواء اتصلت بالأصول الفنية أو بطبيعة الموضوعات، أو كانت خاصة بصور البلاد المختلفة كما تنعكس في آداب الأمم الأخرى**»؛ وفيما يأتي شرح لهذا النص.

1) **المدلول التاريخي (دراسة التأثير والتأثر):** يترتب على هذا التعريف أنه لا يعد من الأدب المقارن ما يعقد من موازنات بين كتّاب من آداب مختلفة ما لم تقم بينهم صلات تاريخية حتى يؤثر أحدهم في الآخر نوعا من التأثير أو يتأثر به.

- **مثال:** ألّف الكاتب الفرنسي "ستندال"(*Stendhal*) (1783-1842م) كتابا عنوانه (راسين وشكسبير) لمقابلة الأصول التقليدية في مسرحيات راسين بوجوه الابداع في مسرحيات شكسبير ويتخذ هذه المقابلة وسيلة للإشادة بأصالة "شكسبير" وبدراسته ويثور على القواعد الكلاسيكية التحكمية منتصرا بذلك للرومانتيكيين، ويتخذ "راسين" مثالا للشعراء عبيد القواعد حتى يضرب المثل للاتجاهات الفنية التي ينتصر لها من مسرحيات شكسبير، والكتاب بذلك ذو قيمة في فهم لدعوة الرومانتيكية التي اتخذ "شكسبير" و"راسين" تعلة للانتصار لها وذو قيمة كذلك في فهم كاتبه نفسه، وما له من ثقافة، ولكنه ليس من الأدب المقارن لا في منهجه ولا في موضوعه، إذ ليس بين شكسبير وراسين من صلة تاريخية.

والأمر كذلك فيما يعقد مثلا من موازنة بين الشاعر الإنجليزي "ملتون" (*Milton*) (1674-1906م) وبين "أبي العلاء المعري"(363-449ه/972-1057م) لأنّ كليهما كان أعمى، وأنتج خاضعا لهذه العاهة، ثم على الأخص لأنّ لكل منهما آراء متطرفة فيما يخص الدين ولذلك أنّ كلا الأديبين لم يعرف الآخر، ولم يتأثر به، فتشابه آرائهما وظروفهما أو مكانتهما الإجتماعية ليس لها قيمة تاريخية.

فالقصد من دراسة الأدب المقارن هو الوصول إلى شرح الحقائق عن طريق تاريخي، وكيفية انتقالها من لغة إلى أخرى وصلة توالدهما من بعض، والصفات العامة التي احتفظت بها حين انتقلت إلى أدب آخر، ثم الألوان الخاصة التي فقدتها أو كسبتها بهذا الانتقال.

فمن مثل هذه الدراسات ترجى الفوائد، أما تلك الموازنات التي لا تشرح شيئا، والتي تبقى غامضة لا يوضحها تاريخ، فلا تتجاوز في ضآلة قيمتها مجهود أستاذ في علم الأحياء ينفق وقته في شرح التقارب شكلا ولونا بين زهرة وحشرة.

2) **الموازنات داخل الأدب القومي الواحد:** وكما أخرجنا من حساب الأدب المقارن ما يعقد من موازنات بين آداب ليس بينها صلة تاريخية، كذلك ليس من الأدب المقارن في شيء ما يساق من موازنات داخل الأدب القومي الواحد، سواء كانت هناك صلات تاريخية بين النصوص المقارن بينها أم لا.

مثال: فالموازنة بين أبي تمام والبحتري أو بين حافظ وشوقي في الادب العربي، وكذلك الموازنة بين "كورني" (*Corneille*) ورسين(*Racine*)، أو بين باسكال (*Pascal*) و"مونتيني" (*Montaigne*)، أو بين راسين وفولتير(*Voltaire*) في الأدب الفرنسي يتخلى عنها مؤرخ الأدب المقارن لمؤرخ الأدب القومي.

فمهما أعرنا من اهمية للموازنات الداخلية لأدب ما، فإنها أقل خصبا وأضيق مجالا وأهون فائدة من الدراسات المقارنة، وذلك لأنها لا تشرح إلاّ نمو الاستعداد والمواهب للكاتب في علاقاته مع سابقيه من أبناء امته، وكثيرا ما تسير على وتيرة واحدة، وفي حدود ضيّقة، كدراستنا للحريري وتأثره ببديع لزمان الهمذاني، أو كدراستنا للشعراء اللاحقين وتقليدهم للشعراء الجاهليين في الأدب العربي.

أين ذلك مما لو وضّعنا نصب أعيننا أن ندرس موضوعا كموضوع مجنون ليلى في الأدب العربي، وكيف تطور في الأدب الفارسي، وبعده عن ميدان الحب والغزل العذري إلى ميدان التصوف، أو ندرس تأثير الأدب القديم اليوناني أو اللاتيني في أدب

عصر النهضة وشعرائهم، بناء على نظريتهم في محاكاة الأقدمين أو ندرس تأثير شكسبير في المذهب الرومانتيكي في فرنسا.

فمثل هذه الدراسات تعد من صميم الأدب المقارن، في حين تعد الموازنات الأولى من نطاق الأدب القومي البحت، ويدل مجرد سرد الأمثلة السابقة على فضل الدراسات المقارنة على الموازنات بصفة عامة.

3) **تأويل الكاتب لما قرأه من آداب أخرى:** لا يقتصر الأدب المقارن على الاستعارات الصريحة، وانتقال الأفكار والموضوعات والنماذج الأدبية للأشخاص من أدب إلى آخر بل يشمل أيضا نوع التأثير الذي اصطبغ به الكاتب في لغته التي يكتب بها بعد أن استفاد من أدب آخر، وهو ما نستطيع أن نطلق عليه تأويل الكاتب لما قرأه من آداب أخرى.

- **مثال (01):** تأثر صوفية الفرس من المسلمين بالقرآن والحديث، ولكن بعد تأويلهما تأويلا كبيرا، بحيث أدخلوا في مفهومها كثيرا من فلسفة أفلاطون وأفلوطين العاطفية، وكثير من مبادئ التصوف في الهند وإيران القيمة، لكنهم فهموا آيات القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه الطريقة، أي بعد أن أخضعوها لآرائهم، وظنوا أنهم لها خاضعون، ومع ذلك نعدهم متأثرين بالقرآن والحديث عن طريق التأويل.
- **مثال (02):** نرى مثلا آخر لهذا التأويل في الكاتب الإنجليزي كارليل (1795-1881م) حين أوّل ما قرأه عن الكاتب والشاعر الألماني جوته *Goethe* (1749-1832) فلم يلحظ في انتاجه الأدبي من جوانب السخرية والجحود والإنكار وجوانب الاستجابة إل داعي الملذات، إنما رأى فيه ما يتفق وتربيته الخلقية، فرأى فيه حكيما يدعو إلى التدين والخضوع لما فرضه الخلق القويم وكان لرأي كارليل صدى قويا في الرأي العام الإنجليزي والذي أثّر في الكتّاب والشعراء الإنجليز الذين اتخذوه رائدا

خلقيا لهم فيما يكتبون، حتى ليقول الكاتب القصصي الإنجليزي "ادوارد بولور ليتون" في مقدمة قصتين له ذاتي طابع خلقي 1840م: «**فيما يخص الفكرة الأولى: فكرة التربية الخلقية أو التعليم العملي، من اليسير أن يرى القارئ أنني مدين بها لقصة ويلهلم مستر لجوته**»، ويعد هذا في الأدب المقارن من تأثير جوته بتأويل كارليل، وإن كان هذا التأويل في الحقيقة مجانبا للصواب.

4) **التأثير العكسي**: يندرج في الأدب المقارن نوع آخر من التأثير يسمى التأثير العكسي، وهو أن يقاوم الكاتب أثر كاتب آخر في أدب أمة أخرى، فينتج من هذه المقاومة أثرها في تأليفه.

- **مثال**: تأثر الشاعر المصري أحمد شوقي في مسرحيته كليوباترا بالمسرحيات الأوروبية الكثيرة في هذا الموضوع، وفيها جميعا اتخذت كليوباترا مثال المرأة الشرقية أو المصرية في نظرهم، فهي مستهترة ولوعة بالملذات تتخذ إلى غاياتها طرقا ملتوية غير مستقيمة، وقد أراد شوقي أن يدفع هذه النظرة الخاطئة بتصوير كليوباترا وطنية مخلصة، تقدم وطنها حتى على حبها.

5) **الهدف من تاريخ الأدب المقارن**: إنّ تناول الأدب من منظور المقارنة يقضي على الغرور الذي يدفع كل شعب إلى الإعتداد بأدبه والوقوف عند حدوده واحتقار ما عداه، وهذه نظرة ساذجة، ولكنها ذات ضرر جسيم إذا سرت إلى المثقفين ومن يزعمون أنفسهم متخصصين.

- **مثال(01)**: مثال ذلك في القديم ما كان العرب يطلقونه في معنى "العجم" من أنه خلاف العرب، ورجل أعجم وقوم عجم، والأعجم من لا يفصح كالعجم من الحيوانات، وقد جاء الإسلام

فقضى على هذه النزعة حين خاطب الناس(حيث وردت هذه اللفظة 140 مرة في القرآن).

- **مثال (02):** نظير ذلك أيضا ما كان من الفرنسيين في القرن 17، (تحديدا سنة 1684م) حين أتى وفد ملك سيام فأجاد التعبير عما يريد في بلاط لويس 14، فاندهش الفرنسيون كيف يستطيع غيرهم الافصاح، مما دفع الكاتب لابروبير *La Bruyère* *إلى أن ينعى عليهم ذلك، ومما قاله:* **«إذا كانت فينا صفات وحشية فهي التي تدفعنا إلى الدهشة من رؤية سوانا من الشعوب يعقل في قوله وحججه مثلنا».**

ونظير ذلك أيضا ما نراه في كلام البحاثة اللّغوي الفرنسي بوهور *Dominique* Bouhours (1628-1702م) إذ يقول: « **إنّ نطقنا – نحن الفرنسيين- هو النطق الطبيعي، فلغة الصينيين والأسيويين غناء، وكلام الألمان صخب وضوضاء، وحديث الإسبان موّقع، ومنطق الإيطاليين زفير، ولغة الانجليز صفير، والفرنسيون وحدهم هم الذين يتكلمون** ».

6) الأدب المقارن وعلاقته بتاريخ الأدب والنقد:

إنّ الأدب المقارن جوهري لتاريخ الأدب والنقد في معناهما الحديث، لأنه يكشف عن مصادر التيارات الفنية والفكرية للأدب القومي، فكل أدب قومي يلتقي حتما في عصور نهضاته بالآداب العالمية، لكن مناهج الأدب المقارن ومجالات بحثه مستقلة عن مناهج تاريخ الادب والنقد، إنما يستعين النقد وتاريخ الادب بنتائج بحوثه التي تأتي ثمرة التعمق في دراسة الصلات الأدبية العالمية في ذاتها.

محاضرة رقم (02)

تاريخ نشأة الأدب المقارن

من منطلق اجماع الباحثين حول قضية اكتمال مفهوم الأدب المقارن في أوروبا أولا ، فنحن سنشرع في الحديث عن هذه النشأة عندهم. وفي تتبعنا لهذا العلم الحديث من علوم الأدب سنلّم بنظريات في النقد وبأسس عامة في دراسة تاريخ الادب كان لها أخطر الأثر في ميلاد هذا العلم واكتمال معناه.

أولا/ في العصر القديم:

أقدم ظاهرة لتأثير أدب في أدب آخر هو ما أثّر به الأدب الألماني في الأدب الروماني، ففي عام 146 ق م انهزمت اليونان أمام روما، ولكنها ما لبثت أن جعلتها تابعة لها ثقافيا وأدبيا، ولم يكن للأدب اللاتيني من أصالة تذكر يستقل بها عن تأثير الأدب اليوناني، فيما عدا ما يحتمل أن يكون في جنس التأريخ والخطابة، إذ يقر مؤرخو الفكر الإنساني أنّ روما مدينة لليونان في فلسفتها وفنها ونزعتها الإنسانية وأدبها كله.

والذي يهمنا هنا أنها أثمرت لدى النقاد اللاتين ما كان نواة المحاكاة في عصر النهضة الأوروبية، في معنى محاكاة اللاتين لليونان، والسير عل اثرهم، وهذا معنى آخر للمحاكاة يغاير المحاكاة التي دعا إليها أرسطو حين أراد أن يسن الصلة بين الفن بعامة وبين الطبيعة.

فللشاعر عند النقاد الرومان أن يحاكي العباقرة، فيقر "هوراس" (85-08 ق م) في فن شعره: «**اتبعوا أمثلة الإغريق واعكفوا على دراستها ليلا ونهارا**»، وفي هذا اعتراف منه بأنّ محاكاة اليونانيين في أدبهم مثمرة على ألا تمحو أصالة الشاعر.

وقد خطا بعده الناقد الروماني كانتليان *Quintillian* (35 ق م/96م) خطوات واسعة في شرح هذه النظرية التي كانت ذات أثر بعيد المدى لدى النقاد حتى الكلاسيكية، فقد سنّ لهذه المحاكاة قواعد عامة:

أولاها: أنّ المحاكاة للكتّاب والشعراء مبدأ من مبادئ الفن لا غنى عنه. وهو يقصد طبعا محاكاة الإغريق لليونان.

والقاعدة الثانية: أنّ هذه المحاكاة ليست سهلة، بل تتطلب مواهب، خاصة في الكاتب الذي يحاكي، شأنها في ذلك شأن محاكاة الطبيعة.

ثالثها: أنّ المحاكاة لا ينبغي ان تكون للكلمات والعبارات بقدر ما هي لجوهر موضوع الأدب ومنهجه.

رابعها: أنّ على من يحاكي اليونانيين أن يختار نماذجه التي يتيسر له محاكاتها، وأن تتوفر له قوة الحكم ليميز الجيّد من الردئ.

وأخيرا يقر "كانتليان" أنّ المحاكاة في حدّ ذاتها غير طافية، إذ يجب ألا تعوق الشاعر وألا تحول دون أصالته.

ثانيا/ القرون الوسطى:

وفي القرون الوسطى خضعت الآداب الغربية لعوامل مشتركة تتمثل في مظهرين:

أولهما ديني: كان رجال الدين فيه هم المسيطرون، فكان منهم القراء ولكتّاب معا، وتغلغل الروح المسيحي في ذلك الإنتاج الأدبي فكانت اللاتينية هي لغة العلم والأدب، كما هي لغة الكنيسة.

وثاني هذين المظهرين العمين كان **الفروسية** التي وحّدت ما كثير من الآداب الاوروبية في تلك العصور.

ثالثا/ عصر النهضة (الحديث):

1) **العصر الكلاسيكي:** اتجهت الآداب الأوروبية في القرنين 16 و17 وجهة الآداب القديمة من يونانية ولاتينية، وكان للعرب فضل توجيه الانظار إلى قيمة النصوص اليونانية بما قاموا به من ترجمات الفلاسفة اليونان، وبخاصة أرسطو، فحاول رجال النهضة الرجوع إلى تلك النصوص في لغاتها الأصلية، ثم أخذوا في طبع النصوص اليونانية وترجمتها والتعليق عليها.

وكانت الدعوة إلى آداب اليونان والرومان ومحاكاتهما بمثابة ثورة فكرية في ذلك العصر لأنها كانت تتضمن الخروج من آداب العصور الوسطى ذات الطابع المسيحي.

وخير من يمثل العصر الكلاسيكي جماعة الثريا أو البلياد *Pléiade*، وقد عرف تاريخ الأدب الغربي جماعات كثيرة عرفت بهذا الاسم، وتوجهها كلاسيكي، حيث كان أصحابها ولوعين بما في الآداب اليونانية والرومانية من اتجاهات انسانية، وقد اتخذوا من محاكاة هذه الآداب وسيلة ناجعة لإغناء لغاتهم وآدابهم الحديثة.

2) الحركة الرومانتيكية:

كان تأثير الحركة الرومانتكية في نشأة الأدب المقارن محدودا بالدعوة إل الإفادة من الآداب الأخرى ودراستها في لغاتها الأصلية وفتح آفاق جديدة للآداب القومية في البحث والتأثر، وتوجيه النقد توجيها علميا كان من ثمرته ظهور الأدب الحديث، كذلك يتمثل تأثيرها في روادها الذين يشكلون ما يعرف في الأدب المقارن بوسطاء الأدب، وهم الأدباء الذين يعرفون آدابهم القومية بآداب أخرى، مثل مدام دوستال *M^me^ de Staël* التي عرفت الأدب الفرنسي بالأدب الألماني، وكانت تحمل على من لا يعير دراسة الآداب الأخرى

اهتماما، وكانت في دراساتها تلجأ إلى ضرب الأمثلة بالآداب الأخرى.

ومن روّاد الرومانتيكية أيضا نجد سانت بوف *Saint- Beuve* الذي يقرر نظرية (***التاريخ الطبيعي لفصائل الفكر***) فيرى أنّ كل كاتب ينتمي إلى نوع خاص من التفكير، وهذه النظرية تعود إلى البحث عن عناصر تكوين الكاتب خارج نطاق أمته، إذ قد ينتمي الكاتب إلى اسرة فكرية عالمية في الآداب، وهذا ه جوهر الأدب المقارن، وسانت بوف يقف وسطا بين الحركة الرومانتيكية والنظرة الواقعية المتأثرة بالحركة العلمية.

ثالثا/ الحركة العلمية:

أثّرت الحركة العلمية في موضوعات الأدب وفي موضوعية النقاد، واتجاههم العلمي إلى الشرح والبحث عن أصول الأفكار، ومن النظريات العلمية التي استندوا إليها نظرية داروين في النشأة والتطور، حيث دفع هذا الاتجاه إلى البحث عن أصول الأفكار وكيفية التكوين الثقفي للأفراد والأمم، نذكر من الكتب (الأدب المقارن) سنة 1881م للباحث الإنجليزي بويسنت، وكتاب تطور الأدب في مختلف الأجناس للكاتب الفرنسي ليتورنو، وهي كتب تدعو إلى الخروج عن نطاق الأدب الواحد.

كما تأثر النقاد بمنهج المقارنات، والمقارنة ظاهرة علمية، تعتمد على المقارنات في استنباط الحقائق والتعمق فيها، حيث نشأ في البداية علم الحياة المقارن، وعلم التشريح المقارن...فلابد أن يحذو الأدب حذوها في اتجاهه نحو الأدب المقارن.

ومن الأعلام المتأثرين بالروح العلمية نجد هيبوليت تين *Hippolyte Taine* وجاستون باري *Gaston Paris* وبرونتيير *fernand Brunetière* وغيرهم...

كما استفاد الأدب من النظريات العلمية التي وجدت في النصف الثاني من القرن 19، ومن ذلك النظرية الاشتراكية التي يتركز فحواها على الدفاع عن حقوق العمال، فتحولت هذه النظرية الاقتصادية العلمية إلى ما يعرف **بالواقعية** في الأدب، حيث كان العلم سببا في وجود جمهور جديد للكتاب هو جمهور العمال، بعد أن أصبح الكتّاب يدافعون عن العمال في قصصهم ومسرحياتهم.